مقدمة

من المعروف أنه منذ نشأة الصحافة فى العصر الحديث، وقد أصبح لها دور فاعل باعتبارها جزء لا يتجزأ من الكيان السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى أية دولة. ومن هنا غنى عن البيان أهمية دراستها ودراسة مراحل تطورها لأنها تواكب التطورات التى تحدث داخل المجتمعات على كافة الأصعدة. وتتضاعف أهمية دراسة الصحافة، إذا كانت الصحافة المعنية هى الصحافة الإسرائيلية عامة، وذلك القطاع الدينى المتنامى داخل المجتمع الإسرائيلى والذى يمثل بالنسبة للكثيرين، لغزا مغلقا على نفسه.

وقد كان للصحافة العبرية منذ نشأتها فى العصر الحديث، دور مبكر فى الترويج لأفكار بعينها عبر المراحل المختلفة من تاريخ الطوائف اليهودية فى العصر الحديث، كان على رأسها الترويج لحركة التنوير اليهودية فى شرق أوروبا، ثم دورها فى الترويج للفكرة والحركة الصهيونية، بعد فشل حركة التنوير اليهودية (الهسكلاه) فى تحقيق أهدافها. وقد انتقلت الصحافة العبرية من شرق أوروبا إلى فلسطين مع موجات الهجرة اليهودية إليها، حيث برز دورها فى الترويج للغة العبرية كلغة أساسية للاستيطان الصهيونى فى فلسطين. ويجدر بنا هنا أن نشير إلى تنامى إصدار الصحف العبرية المعبرة عن التوجهات السياسية والحزبية الدينية السائدة فى الاستيطان الصهيونى ومن بينها: صحيفة "هتسوفيه" التى كانت لسان حال "همزراحى"، معبرة عن التيار الصهيونى الدينى فى مواجهة التيارات الدينية الحريدية الرافضة، بل والنابذة للصهيونية فكرا وحركة. وقد صدر العدد الأول من "هتسوفيه" عام ١٩٣٧ فى فلسطين. وقد ظهرت بشكل مواز صحف دينية أخرى مثل: صحيفة هموديع (المُعَرف-المُبلغ) الحريدية التى تأسست عام ١٩٥٠. كما

ظهرت صحف حزبية لا تنتمى لمعسكر المتدينين مثل: "هزمان" (الزمان) (فى الفترة من ١٩٤١- ١٩٤٤) كناطق بلسان الصهيونيين العموميين، وظهرت صحيفة يومية تحمل اسم "يديعوت هتنوعاه لأحدوت هعفودا" (أخبار حركة اتحاد العمل) ناطقة بلسان حركة "احدوت هعفودا" (اتحاد العمل). كما صدرت فى عام ١٩٤٨ صحيفة "حيروت" (حرية) لحركة "حيروت" التى تزعمها مناحم بيجين، وهو ما يؤكد أن الصحافة العبرية كانت منذ انطلاقتها الأولى أيديولوجية موجهة. حتى بعد أن ظهرت الصحافة المستقلة التجارية فى وقت لاحق، حيث كانت لها تحالفاتها الخاصة مع قوى وشخصيات بعينها.

وبشكل عام يمكن القول أن الصحافة فى دولة إسرائيل تلعب دور الناقل الرئيسى لأفكار القوى السياسية ومواقفها أمام الرأى العام عامة والاتباع خاصة. وهو الطابع الذى يبدو جليا فى صحافة القوى الدينية فى إسرائيل، التى تمثل مصدرا شبه وحيد، بالنسبة للاتباع والأنصار للحصول على المعلومات عن العالم الخارجى فى ظل تحريم قطاع عريض من المتدينين لمشاهدة التليفزيون، ولشبكة الإنترنت.

البحث الذى نقدمه للمكتبة العربية هدفه محاولة استجلاء واقع الحال الإسرائيلى إجتماعيا وسياسيا من خلال ما تفصح عنه الصحافة الدينية العبرية. لرصد وتحليل ما يجرى داخل القطاع الدينى فى إسرائيل - المنقسمة بين علمانيين ومتدينين- على الصعيد السياسى والاجتماعى والأيديولوجى خاصة وأن القوى الدينية فى إسرائيل فى تنامى عددى مستمر، يوازيه تزايد عدد الممثلين عن هذا القطاع فى الكنيست وبالتالى فى الائتلافات الحكومية فى إسرائيل. هذا بجانب أن للصحافة الدينية المعبرة عن القوى الدينية فى إسرائيل –سواء كانت حزبية أو معبرة عن قوى غير حزبية أو تجارية مستقلة- لها شفرة خاصة بها، وسياسات نشر تكشف عن وجود رقيب داخلى ومحاذير لا يمكن تخطيها، وفى نفس الوقت قواعد يجب اتباعها عند تناول قضايا أو شخصيات بعينها.

وقد تم اختيار فترة التسعينيات، كفترة رئيسية للدراسة، (بجانب اقتباسات

أحدث) باعتبار أن هذه الفترة تحديدا ، فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى عامة، وبالنسبة لمجريات الأمور وتطوراتها داخل المجتمع الإسرائيلى وبالنسبة للعلاقات بين مصر وإسرائيل، وبين الإسرائيليين والفلسطينيين، وكذلك بالنسبة للواقع الدولى عامة وإنعكاساته على تطور الصراع الإسرائيلى الفلسطينى كانت فترة خصبة ومليئة بالأحداث والتطورات الهامة، التى انعكست آثارها بشكل مباشر على العقد الحالى منذ عام ٢٠٠٠ فصاعدا، والذى نشهد تطوراته كشهود عيان على ضوء التجليات السياسية التى سبقته بداية من مؤتمر مدريد للسلام، ثم بدء مفاوضات أوسلو السرية وتوقيع إتفاقيات أوسلو ودخول السلطة الفلسطينية للأراضى الفلسطينية وتسلمها مدن فلسطينية –من بينها الخليل التى لها مكانة خاصة لدى المتدينين- وطرح فكرة الشرق الأوسط الجديد وتدشين علاقات دبلوماسية أو تجارية بين إسرائيل وعدد من الدول العربية والإسلامية. وكذلك تفجر الجدل حول تطبيق الشريعة اليهودية فى الكثير من أوجه الحياة فى إسرائيل، ومدى استجابة الجنود المتدينين لأوامر إخلاء المستوطنات، وفرض قدسية السبت وتناول الأطعمة الشرعية على الجميع، ومدى قبول الديمقراطية الغربية كمرجعية، مما يعنى ضمنا أن تتحول إسرائيل إلى "دولة لكل مواطنيها"، فى إطار مواجهة واسعة بين العلمانيين والمتدينين.

ومجمل القول فى هذا الإطار أن فترة مثلت حقبة ثرية وهامة ومفصلية ناهيك عن أن هذا العقد هو العقد الأقرب لوقتنا المعاصر، هذا بالإضافة إلى تنامى النعرة الدينية لدى قوى سياسية داخل وخارج إسرائيل، مما يجعل تأجيج المشاعر لشن الحروب يلجأ فى كثير من الأحيان للخطاب الدينى.

وقد صادف الباحث بعض العقبات والصعوبات فى الحصول على الأعداد اللازمة من الصحف الدينية لأسباب لا تخفى على كل من يعمل فى مجال الصحافة العبرية فى مصر (إغلاق المعابر الحدودية يمنع انتظام وصول صحيفة هتسوفيه وهى الصحيفة الدينية الوحيدة التى تصل لمصر، ورفض القبول باتصالات مباشرة مع عناصر إسرائيلية فى ظل إصرار إسرائيلى على سياسات الاحتلال والعدوان، جعل

الاستعانة بوسطاء مصريين أو فلسطينيين أمر لا مفر منه).

أما بالنسبة لمواقع شبكة الانترنت الخاصة بالصحف الدينية، فلا يوجد سوى موقع صحيفة "هتسوفيه" الناطقة بلسان حال حزب "المفدال" –وهو موقع حديث نسبيا–، أما صحيفة "حبد" الحسيدية فلها موقع على شبكة الانترنت، لكنه مغلق بمعنى أنه يتوجب على كل من يريد تصفح الجريدة أن يرسل بياناته أولا لإدارة الصحيفة ثم تبلغه الإدارة عبر رقم هاتفه موقفها من طلبه (!) تجاهل القوى الدينية فى إسرائيل للانترنت مقصود فهى تعتبر هذه الشبكة مصدر إفساد وكفر مبين. وهو ما عبرت عنه أكثر من صحيفة دينية فى تقارير لها، وتكرر كذلك عبر رسوم كاريكاتيرية تصور الطفل المتدين الذى يجلس على جهاز الكمبيوتر وقد تحول بالتدريج لمظاهر العلمانية، ثم أصبح فى النهاية وحشا مفترسا.

و بالرغم من كل هذا فقد تضمنت الدراسة ١٣٠ اقتباسا من مقالات، وأخبار، وتقارير، وردت فى صحف دينية عبرية، صدرت فى إسرائيل خلال عقد التسعينيات، مع إخضاعها للتصنيف والتحليل، كما تم فحص أضعاف هذا العدد من الاقتباسات. وقد تراوحت هذه الاقتباسات فى حجمها من بضعة أسطر إلى بضعة صفحات، وقد شكلت الاقتباسات من صحيفة هتسوفيه "٧٧" اقتباسا، تركز معظمها على تغطية قضايا الصراع العربى الإسرائيلى بينما شكلت الاقتباسات من الصحف الدينية الأخرى ٥٣ اقتباسا يركز معظمها على تغطية القضايا المتصلة بالشريعة والمواجهة مع العلمانيين، ونسبة الاقتباسات من "هتسوفيه" إلى الاقتباسات من غيرها تعبر عن حجم تأثير الصحيفة، والحزب المعبرة عنه داخل إسرائيل، بالإضافة لكونها الصحيفة الدينية الوحيدة التى تصل - بشكل شبه منتظم- لمصر.

أهمية البحث:

ولست أبالغ إذا قلت أن هذه الدراسة هى الأولى فى حقل الدراسات العبرية فى مصر، التى تعتمد على المادة المنشورة فى الصحافة العبرية مصدرا لدراسة منهجية

ذات أبعاد أيديولوجية سعيا نحو رصد الأفكار والتوجهات السائدة فى صحافة القطاع الدينى فى إسرائيل، دون أن تكون الصحافة مجرد مصدر من مصادر الرصد اللغوى فحسب. وفى هذا المجال ينبغى أن أشير إلى الدراسة التى قدمها الدكتور أحمد حسين عفيفى لنيل الدكتوراة من جامعة عين شمس عام ١٩٧٩، تحت عنوان "اللغة العبرية الحديثة فى الفكر والصحافة بحث فى احياء اللغة العبرية الحديثة ونشأة الصحافة العبرية"، وهى من الدراسات الرائدة والنادرة فى الوقت نفسه عن الصحافة العبرية. وقد ركزت كما هو واضح من عنوانها، الذى يعبر عن هدفها، على اللغة ورصدت مساحة زمنية عريضة من بدايات القرن الماضى حتى تاريخ إعداد الرسالة. وقد أفدت منها كثيرا.

وتتمثل أهمية دراسة الصحافة المعبرة عن القوى الدينية فى إسرائيل، فى أنها لا تعد صحافة خبر للخبر، بمعنى أنها ليست صحافة سلبية، وحتى الصحف الدينية التى تهدف للربح وتركز على تحسين الإخراج الصحفى لها عمق –حتى تستجيب لها الشرائح المستهدفه من القراء وقبل المعلنين على الصحيفة- يجب التوقف أمامه بالرصد والتحليل، وهى بشكل أو بآخر تهدف لتعليم المتدينين الحياة كما يجب أن تكون –من وجهه نظر القوى الدينية- وليس نقل الأخبار وإعلام القاريء بأحدث التطورات. كما تناول البحث قضايا شائكة وحيوية مثل مدى انصياع المتدينين للقانون العلمانى واحتمالات الصدام الفعلى بين المعسكر العلمانى والمعسكر الدينى فى إسرائيل. ومدى انصياع المتدينين فى الجيش الإسرائيلى لأوامر الإخلاء، ومواقف المعسكر المتدين المختلفة من قضايا السلام مع مصر، والفلسطينيين، وقضية مستقبل القدس باعتبارها قنبلة موقوتة بالنسبة للمتدينين بشكل خاص. وهو ما يعنى إخضاع أوضاع المجتمع الإسرائيلى من الداخل، ومواقف شريحة هامة منه تجاه الصراع العربى الإسرائيلى للبحث العلمى.

منهج البحث

يقوم منهج البحث فى هذه الدراسة، على استخدام كل من المنهجين الوصفى والتحليلى حيث ساعد المنهج الوصفى فى رصد المعلومات عن تاريخ وتطور

الصهيونية وعن القوى الدينية فى إسرائيل، وكذلك عن أهم الصحف الدينية، الصادرة باللغة العبرية فى إسرائيل –بحكم كونها الأكثر انتشارا وتأثيرا- وساعد المنهج الوصفى أيضا فى السرد المعلوماتى الخاص بخلفيات كل قضية من القضايا التى تناولها البحث. بينما ساعد المنهج التحليلى فى رصد موقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من قضايا الشريعة والقضايا المتعلقة بالأيديولوجية السياسية. كما ساعد فى عملية التحليل النقدى واستخلاص النتائج. هذا وقد لجأت إلى اختيار صحف معينة تتميز بطابع خاص فى معالجتها الإعلامية بطريقة عمدية، خشية ألا تمثل تمثيلا صحيحا فى العينة العشوائية، كما اخترت أعدادا معينة صدرت فى أيام معينة اختيارا عمديا لأن هذه الأعداد تناولت القضايا موضع الدراسة تناولا متعمقا مكثفا مقارنة ببقية الفترة الزمنية.

خطة البحث

وعلى ضوء ما تقدم فقد قسمت خطة البحث، إلى ثلاثة أبواب، يضم الأول منهم فصلين، سبقهما فصل تمهيدى ويضم الثانى أربعة فصول، فى حين يضم الباب الثالث ثلاثة فصول، وذلك على النحو التالي:

الباب الأول: ويحمل عنوان **"الصحافة الدينية فى إسرائيل"**، وقد قمت بتقسيمه إلى فصلين يسبقهما فصل تمهيدى على النحو التالي:

الفصل التمهيدي: ويحمل عنوان**"مفهوم الايديولوجية الصهيونية"** ويتناول:

مفهوم الأيديولوجية، وركائز الأيديولوجية السياسية الصهيونية، ثم التصنيفات الداخلية للصهيونية.

الفصل الأول: ويحمل عنوان **"الأحزاب والقوى الدينية فى إسرائيل"** وقد قمت بتقسيمه إلى مبحثين يسبقهما مقدمة، يحمل المبحث الأول عنوان"القوى الدينية التى تمثلها أحزاب". ويتناول: الجماعات التى تمثل أحزابا دينية معترف بها. أما المبحث الثانى فيحمل عنوان"قوى ومؤسسات دينية غير حزبية". ويتناول: القوى والمؤسسات الدينية غير الحزبية.

أما الفصل الثاني: فيحمل عنوان **"الصحافة الدينية فى إسرائيل"** وقد سبقه تمهيد يتناول تعريف بالصحافة ودورها وآليات عملها، الصحافة العبرية فى إسرائيل وخلفيات نشأتها، ثم مبحثين الأول يحمل عنوان"الصحف الدينية الناطقة بلسان القوى الدينية الحزبية". أما الثانى فيحمل عنوان"الصحف الدينية غير الحزبية". ويتناول أيضا ملاحظات حول المحظور والمسموح به فى الصحف الدينية فى إسرائيل.

أما الباب الثاني: فيحمل عنوان **"الاتجاهات الأيديولوجية للصحافة الدينية فى إسرائيل فى معالجة القضايا الخلافية مع العلمانيين"**، وقد قمت بتقسيمه إلى أربعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: ويحمل عنوان **"موقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من العلمانيين"**، وقد تناول هذا الفصل، نفى الآخر العلمانى والتخويف منه، ودمغ العلمانيين بالعنصرية، وتجنب الاختلاط بالآخر العلمانى ورفض للقانون العلمانى وتمرد على الانصياع له.

أما الفصل الثانى فيحمل عنوان **"موقف الصحافة الدينية من الديمقراطية الغربية فى إسرائيل"**، وقد تناول معالجة الصحافة الدينية للديمقراطية، ووقف على موقفها المعادى للديمقراطية، ومحاولة فرض قيود دينية على الإجراءات الديمقراطية، وكذلك إنكار الاعتماد على أغلبية فى الكنيست ترتكز على دعم عربى.

فى حين جاء **الفصل الثالث** تحت عنوان **"موقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من قضايا انتهاك شريعة يوم السبت وتجنيد طلبة المعاهد الدينية والفتيات و"الكشيروت""** وهو يضم مبحثين: المبحث الأول عنوانه "موقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من قضية حرمة السبت" فى حين أن عنوان المبحث الثانى هو "موقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من قضية تجنيد طلبة المعاهد الدينية والفتيات".

أما الباب الثالث: فيحمل عنوان **"الاتجاهات الأيديولوجية للصحافة الدينية فى إسرائيل من قضية الصراع العربى الإسرائيلى"** وقد قمت بتقسيمه إلى ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: ويحمل عنوان "**موقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من قضية السلام مع مصر**" ويتناول تأثير التاريخ المشترك على المواقف الإسرائيلية الحالية من مصر، كما يتناول مواقف الصحافة الدينية من السلام مع مصر.

الفصل الثاني: ويحمل عنوان "**موقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من قضية السلام مع الفلسطينيين**" ويتناول خلفيات الصراع مع الفلسطينيين وصور المواجهات الحالية، كما يتناول موقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من قضية السلام مع الفلسطينيين.

الفصل الثالث: ويحمل عنوان "**موقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من قضية القدس**" ويتناول مكانة القدس عند اليهود، وموقف الصحافة الدينية فى إسرائيل من تلك القضية.

وقد ذيلت البحث بخاتمة تشتمل على أهم نتائج وتوصيات البحث.

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أتوجه بعظيم شكرى وتقديرى لأستاذى الجليل الأستاذ الدكتور "**رشاد عبد الله الشامى**" –أستاذ الفكر الصهيونى بجامعة عين شمس– الذى لا توجد كلماتٌ توفيهِ حقهُ علّى فقد تحمس لهذا الجهد ولم يبخل بوقته وعلمه الغزير، وإليه أنسب كل ما هو جيد فى هذا البحث.

والله ولى التوفيق

أحمد فؤاد

٢٠٠٥/٨/٢٧